شاعرة

قالتْ لي فجأةً:

- هل تراني أم أن نظارتَكَ ترسمُ صورةً أخرى في عينكَ، صورةٌ ليستْ لي وعينٌ ليستْ لكَ الآن؟ لِمَ تُخَبِّئُ صورتَكَ خلفَ وجهٍ يرسمُ تكشيرةً عندما يراني وشفاهٍ تعصرُ ليمونَ العالَمِ لتبتسمَ لدُعابتي؟

احترتُ في كلامها، إذ أعجبتْني صياغتَه واستغربتُ عمقَه وشاعريتَه وامتلاءَه بالمرارةِ والأسى. لو كنتُ قرأتُه في كتابٍ لدمعتْ عيني. لكنني لم أدمعْ. ازداد استغرابي، فقد كنتُ أعتقد أنني حسَّاسٌ وأنني قادرٌ على التقاطِ ألمِ الناسِ والتعبيرِ عنه.

اقتربتُ منها واحتضنتُها. حاولتْ أن تراوغَ حضني وتحبسَ دمعةً. لكنَّ الدمعةَ تمرَّدتْ عليها. أحسستُ بدفءِ حضنِها وببرودةِ صدري. أدركتُ أنها متلهِّفَةٌ على حضني كأنها تحاول أن تتوغَّلَ في ضلوعي وتَسْكُنَ صدري، وفي الوقت ذاته أدركتُ حِيَادِي وانشغالي بوجوهٍ غائبةٍ وقراءاتٍ قديمةٍ. فاعتصرتُها بحضني وقررتُ أن أعيدَ كتابةَ حياتي. تراجعتْ للوراءِ قليلًا وفتحتْ عينيها قائلةً:

- أتراني الآن أم أنني لا بدَّ أن أكونَ شاعرةً حتى تراني؟

١٧ نوفمبر، ١٥ ديسمبر ٢٠١٠